



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN - NAHAR
Date : 6-10-94
Photo No. : 23

بعد خراب البصرة

قبل اشهر، كان السؤال الذي تطرحه تلقائيا زيارات وزير الخارجية الاميركي المتعاقبة الى الشرق الاوسط، ما هو جديد وارن كريستوفر؟ وبقيت الامور على هذا المنوال حتى اوضح الوزير الاميركي، في الربيع الماضي، ان زيارته مرتبطة لا بجديده هو، وانما بجديد الاطراف المعنيين بالتفاوض، والعرب خصوصا. لذلك صار السؤال يطرح بصيغة اخرى: هل "تنقش" معه هذه المرة؟

طبعاً، يصعب على اي كان اعطاء جواب قاطع، وإن يكن مجرد الهمس بهذا السؤال في الأوساط السياسية والصحافية بشكل دليلا على حصول تقدم ما في المسار السوري - الاسرائيلي تحت ستار السجال المبدئي المحتدم علنا بين الطرفين.

ثمة دلائل كثيرة على جدوى التساؤل عن قرب الوصول الى انفراج في هذا المسار، بدءاً بالشعارات المرفوعة رسمياً في سوريا منذ اسابيع دفاعاً عن مبدأ السلام، ومروراً بالتبدلات البنيوية الحاصلة في دمشق، ووصولاً الى انحسار القدرة "الرادعة" لجمهور المستوطنين الاسرائيليين حيال حكومة اسحق رابين. لكن المفارقة الكبيرة تكمن في ان هذا التقدم، حتى لو تأكد، بدأ يفقد اهميته الاستراتيجية في ظل الخطوات المتسارعة لمسيرة التطبيع العربي - الاسرائيلي برمتها.

قطعا، لم يصبح الملف السوري - الاسرائيلي تفصيلا. وما زال يسترعي اهتمام الديبلوماسية العالمية، بدليل حصول جولة كريستوفر وقبلها زيارة وزير الدولة البريطاني للشؤون الخارجية دوغلاس هوغ. فالسلام السوري - الاسرائيلي جانب اساسي من السلام الشامل، اقله اذا كان معنى الشمول تحددته معايير الجغرافيا السياسية الكلاسيكية. غير ان هذا الملف يفقد الكثير من بريقه اذا صارت المعايير المحددة لمعنى الشمول تدخل في اطار جغرافيا استراتيجية اكثر تنوعا. ففي مثل هذا الاطار، تخف اهمية مسائل الحدود، مثلا، لتبرز مفاهيم المصالح الاقتصادية المشتركة (المشتركة بين النخب الحاكمة على الأقل).

وهذا الاطار هو تحديدا ما يتم رسمه الآن، وربما في معزل عن المسار السوري - الاسرائيلي، وإن يكن رسم الاطار يهدف في احد جوانبه الى تفعيل ذلك المسار. فمن اعلان "مجلس التعاون الخليجي" عن رفع المقاطعة الثانوية والوعد بالعمل على الغاء المقاطعة المباشرة، الى تحضيرات المؤتمر الاقتصادي المزمع عقده في المغرب، مرورا بالاتفاقات الاقتصادية والسياحية بين الاردن واسرائيل، يتشكل مشهد متكامل للسلام العربي - الاسرائيلي.

ان يقوم هذا "السلام" على حساب الحقوق العربية، فهذا أمر محسوم، وأن يكون مبنياً على التفكك العربي، فهذا ايضا معروف حتى الرتبة. غير ان لا فائدة من الندم بعد خراب البصرة. كما ان لا مجال للتمسك الاعمى بالمبدئيات، طالما انها لا تستند الى ميزان القوى. بل عكس ذلك، فان الخلل المتفاقم يعرض الموقف السوري واللبناني الى المزيد من التهميش، كلما تأخرت ساعة الحسم.

سمير قصير